مجلة الاستغراب
Issn : 2661-7625 Eissn : : 2773-3947
المجلد: 04 / العـدد: 02 ص 136-162

الأمير عبد القادر الجزائري ومشروع السلام العالمي في الدّراسات الأمريكية
- قراءة في كتابات المؤرّخ جون كيزر John. W. Kiser أنموذجا-

Emir Abdelkader Al-Jazaery And The World Peace Project In American Studies
-Reading The Writings Of Historian John. W. Kiser As A Model--

د.طاهري أمحمد

جامعة البليدة 2 لونيسي علي (الجزائر)، tahrimhamed1981pr@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ../../202 تاريخ القبول: ../../202 تاريخ النشر: ../../202

ملخص:

يعد الباحث والمؤرّخ جون كيزر من أبرز الأقلام الأمريكية الداعية للسلم العالمي وحوار الحضارات والأديان، من خلال دراسة حياة الأمير عبد القادر الذي توسّم في شخصه رجلا مهمّا محبّا للسلام العالمي، حيث حاول الباحث من خلال كتاباته إظهار إنسانية الأمير و جهاده الحقيقي واصفا إيّاه بالرجل الشريف القيادي الحقيقي والبطل النّبيه في حلّ المشاكل بهدف تحقيق مشروعه العالمي الذي يصبو إلى تمازج الحضارات وحوارها ونبذ العنف والتفرقة والإيمان بالسلام العالمي.

وبذلك فإنّ نبش جون كيزر في حياة الأمير هو حرص منه على إبداء نوع من الموضوعية في الطرح الفكري والفلسفي والتّاريخي، وهو ما يظهر تأثّره بثقافة الأمير القائمة على الإنفتاح والتعايش مع الآخر، ولعلّ هذا الأمر هو ماجعل جون كيزر يحذو حذو الأمير في محاولة إرساء قواعد السلام العالمي إنطلاقا من تجارب الأمير مع العدو والصديق.

كلمات مفتاحية: جون كيزر.، الأمير عبد القادر.، السلم العالمي.، الفتنة الطائفية.، المعاملات الإنسانية.

تصنيفات JEL : ....، ....، ...(وضع ترميز JEL إجباري)

Abstract:

The researcher and historian John W. Kiser is one of the most prominent American writers calling for world peace and dialogue of civilizations and religions, by studying the life of Prince Abdelkader, who expected in his person an important man who loves world peace, Where the researcher tried, through his writings, to show the humanity of the prince and his true jihad, describing him as the honorable man, the true leader and the prophetic hero in solving problems with the aim of achieving his global project, which aspires to blend civilizations and their dialogue, reject violence and discrimination, and believe in world peace.

Thus, search up John Kizer in the life of the prince is his keenness to show a kind of objectivity in the intellectual, philosophical and historical proposal, which shows his influence on the prince's culture based on openness and coexistence with the other, and perhaps this is what made John Kizer follow the example of the prince in trying to establish the rules of peace which is based on the experiences of the prince with the enemy and the friend.

Keywords: John Kizer; Prince Abdelkader; World Peace; Sectarian Strife; Humanitarian Transactions.

JEL Classification Codes: …, …, …

1. مقدمة:

يعد الأمير عبد القادر من أبرز الشخصيات العالمية الداعمة لحقوق الإنسان، وقيم التسامح والتعايش، والسلام، المنسجمة مع مشروعه العالمي الذي طالما راوده خاصّة بعد خوضه لتجربة صوفية عرفانية أوصلته إلى مرحلة النُضج العقلي و الفكري.

ولما كان الأمير من الرجالات الداعية لترسيخ ثقافة التّسامح والتعايش مع الآخر في ظلّ الأوضاع العالمية المتوترة، فقد ذهبت العديد من الأنامل العربية والأجنبية إلى طرح فكره وتصوّراته العقدية والإديولوجية وأخلاقه التي أخذ بعدًا إنسانيًا أبهر به علماء عصره، ولعلّ هذا التأثير قد بلغ صداه وقتنا الحالي، فكان جون كيزر الأمريكي من أهم الأقلام الجادّة التي أخذت على عاتقها التأريخ لهذه الشخصية، فكان الأمير في نظره عالما، عارفا، متسامحا، مجاهدا، وفيلسوفا إنحنى له كاتبنا إجلالا وإحتراما.

لذا كان هذا النبوغ الفكري والفلسفي والإنسانية السمحاء، هو دافعٌ منّا لتسليط الضّوء ولو بشكلٍ بسيطٍ على هذه الشخصية التي جمعت في كنفها العديد من الصفات التي قلّما نجدها في زعماء عصره، خاصّة إذا تعلّق الأمر بتلك القيم والمبادىء الداعية للسلام ونبذ العنف والتفرقة والعنصرية، والتي ذكرها جون كيزر في مؤلّفاته حول الأمير عبد القادر.

فعملنا هذا، يهدف إلى الوقوف على أهم المساهمات الحضارية والإنسانية للأمير عبد القادر الداعية للسلام العالمي، مع تبيان نظرة الآخر الأجنبي لمشروع السلام الأميري ومدى تأثّر المثقف والمؤرّخ الأمريكي بفكر الأمير من خلال نموذج المؤرخ جون كيزر، ومحاولة نقل تجربة الأمير في المعاملات الإنسانية إلى الشعوب الأخرى و الإستفادة منها.

ولا ندّعي السّبق في ذلك، إلّا موضوعنا المرتبط بشخصية جون كيزر، لم ينل حظّه من الدّراسة والبحث، باستثناء بعض الدّراسات التّاريخية والفلسفية التي أشارت للقيم الأميرية بشكلٍ مُقتضبٍ ممّا يحتاج إلى المزيد من التقميش في الكتابات الأجنبية التي تناولت التاريخ الوطني وإخضاعها لدراسة فردية، نقدية، مستفيضة، ممنهجة، متخصّصة لفكر الرجل ونظرته للأمير عبد القادر.

ونظرًا لسعة المادة التّاريخية التي لامست كلّ جوانب حياة الأمير، فقد حاولنا جمع هذه المادة من المصادر والمراجع وحتّى من التجارب التي عايشها على أرض الواقع، والتي يمكن لها أن تنير لنا بعض الجوانب الخفية حول نظرة جون كيزر للأمير عبد القادر، خاصّة مشروعه القائم على دعم السلم والأمن المحلي والعالمي، إنطلاقا من تجربته مع الإستعمار الفرنسي والأحداث العالمية التي شهدتها البلاد العربية الإسلامية.

وعليه فقد جاءت هذه الدّراسة كمحاولة منّا لتعقب إشكالية رئيسية تبحث في: تكوين صورة واضحة عن مساهمات الأمير عبد القادر الداعية إلى السلام العالمي إنطلاقا من نظرة الآخر ؟ ومدى تأثّر المؤرّخ الأمريكي جون كيزر كنموذج من الدّراسات الأمريكية بمبادىء وفكر الأمير عبد القادر في التعامل مع المشاكل الإنسانية؟.

مع ذلك، سنحاول الغور في هذه الإشكالية والنبش في ترسّباتها من خلال عدّة تساؤلات فرعية تشمل البحث في علاقة الأمير عبد القادر بالأمريكان؟ إبراز أهم المفاهيم والإشارات الإنسانية النظرية التي انضوت عليها منظومة القيم الأميرية؟ من هو جون كيزر وما هي أهم أعماله الفكرية؟ كيف نظر جون كيزر لهذه القيم الإنسانية التي وظّفها الأمير لتحقيق مشروعه العالمي؟ ماقيمة المشروع العالمي للأمير عبد القادر؟.

2. علاقة الأمير عبد القادر بأمريكا :

تكتنف علاقة الأمير عبد القادر بأمريكا نوع من الغموض، نظرا لشح المادة التّاريخية خاصّة في جانبها الأرشيفي والتي يمكن أن تنير بعض الدروب الغامضة في حياة الرجل، فالمصادر المتاحة لا تشير غالبا إلى نوع هذه العلاقة، رغم توفر قنوات التواصل بين البلدين والتي تعود لعصور سابقة تزامنت مع الفترة العثمانية.

حيث تشير بعض الدّراسات أنّ الفترة الممتدة ما بين1790-1797م هي بداية التقارب بين الدولتين إثر قيام أمريكا بعقد معاهدة سلام مع الجزائر حماية لسفنها العابرة بالمتوسّط، مقابل مبالغ مالية بعد عجز البريطانيين عن ذلك(تابليت،2006-2007،ص71)، إلاّ أنّ العلاقات سوف تعرف تراجعا واضحا بسبب قضية الأسرى الأمريكان منذ سنة سنة1785م، حيث تراوحت أعدادهم مابين1520أسير سنة 1785م إلى1450أسير سنة1815م(تابليت،2006-2007،ص114، 147) .

ومهما يكن من أمر، فإنّ العلاقات الجزائرية الأمريكية سوف تعرف نوعا من الإنفراج حرّكته مصالح الطرفان في المتوسّط، لذا نجد السّياسة الخارجية الأمريكية تسعى لايجاد نوع من السلام في الكثير من المراحل التّاريخية، رغم نيتها المبيتة في القضاء على البحرية الجزائرية بداية من محاولات تطوير البحرية الأمريكية(تابليت،2006-2007،ص250).

ورغم حركة المدّ والجزر بين الطرفان، إلاّ أنّ قضية الإحتلال الفرنسي للجزائر قد جعلت الأمريكان بعيدين عن طرح تصور واضح حولها، خاصّة بعض إتّخاذهم العزلة سنة1814م سياسة رائدة في التعامل

مع القضايا الدولية، لذا كان موقفهم من الإحتلال حال المتفرج والرافض لفكرة الإستعمار برمّته دون التدخل في القضايا الداخلية للدول(لونيسي،2010،ص21).

وأمام شح المادة التّاريخية والكتابات الجزائرية أو الأمريكية التي أرّخت للأمير عبد القادر وعلاقته بالأمريكان، فإنّ الفترة الممتدة من1830-1842م قد عرفت تراجعا في الكتابة، ماعدا ما كتبه القناصل والدبلوماسيين من ملاحظات حول أوضاع الجزائر حينها- عكس الفترة السابقة التي عرفت نوعا من حركية في التأليف- ، ومنهم القنصل وليام هودسن الذي ترك لنا كتبا منها: "**رحلة الأغواطي**" و "**خلاصة القواعد النحوية للغة البربرية**"و "**ملاحظات عن شمال إفريقيا والصحراء**"، أمّا من الناحية الأكاديمية فلا نكاد نجد إلّا ما ألّفه غاردنر آلانG.W.Allen كتابا عنوانه" **بحريتنا وبحرية إفريقيا الشمالية**" وكتاب" **العلاقات الامريكية الدبلوماسية مع دول المغرب العربي(1776-1816)**" لصاحبه أروينRay.W.Irwin ، ورسالة جيمس سورينj.Swain الموسومة بـ: "**العلاقات الإنجليزية الفرنسية حول الجزائر1830-1848**)"(سعد الله،1988،ص142-143).

ونظرا لما مرّ به الأمير من صعوبات في مقاومته ضد الإستعمار خاصّة في مرحلته الأخيرة، فقد أجبرته الأوضاع المحيطة به على التحالف مع الأمريكان أو البرطانيين أملا في الحصول على الدعم في حربه ضدّ فرنسا، خاصّة بعد فقدان أمله في الحصول على المساعادات العثمانية أو من الدول العربية (العسيلي،1986،ص146-147؛بوعزيز،1983،ص96).

ولعلّ من أهم الضمانات التي قدّمها الأمير، هو منحه إميتازا للإنجليز: مفاده إستغلال مينائي تنس أو المرسى الكبير في المجال التّجاري مقابل الحصول على الدعم، لذا فقد راسل قنصل بريطانيا في هذا الشأن، كما راسل قنصل أمريكا لنفس الغرض بطنجة المغربية السيد "جيمس ليب"(العايب،2017،ص104-105)، ولعلّ إقباله على مراسلة الأمريكان بطنجة وجبل طارق، مردّه لسوء العلاقات الفرسية الأمريكية ورغبته في الحصول على الدعم، لذا نجده يمنح الأمريكان المزيد من الإمتيازات على غرار ماتمّ منحه للإنجليز، وربّما كانت سعة إطّلاعه على الأوضاع العالمية وموقف الأمريكان

الداعم للحريات ورفض الإستعمار وعزلتها السّياسية هو مادفعه لإختيارها لتكون شريكا له(سعد الله،1976،ص27).

الظّاهر أنّ السّياسة الخارجية الأمريكية، قد عيّنت القنصل شارل جرافيني C.Gravini قنصلا لها بالجزائر بعد معاهدة تافنة بإيعاز من الأمير كممثل له في الجزائر، بعدما أشار إليه اليهودي ابن دران، وهذا مادفع الرأي العام الفرنسي لرفض هذا التعيين، نظرا لنشاطه التّجاري والسّياسي لصالح الأمير، و منها حصوله على طلبه الذي شمل10800 كلغ من البارود للأمير و200قنطار من النّحاس و400قطعة من القماش لفائدة الأمير والعديد من السلع، وربّما كانت هذه المساندة التي أبداها جرافيني قد أثارت حفيظة الفرنسيين الذين رأوا في أمريكا منافسًا قويًا سواءا من النّاحية الاقتصادية أو السّياسية، لذا ذهبت الحكومة الفرنسية لمحاولة إفشال هذه العلاقة التي لم تتّضح معالمها وأهدافها بعد (العايب،2017،ص106-107).

وبذلك فإنّ العداء القائم بين أمريكا وفرنسا حول مسألة الديون قد إستغلّه الأمير في كسب الأحلاف وزيادة الدعم المالي والعسكري خاصّة بعد معاهدة تافنة، ولعلّ تعيين أمريكا لجرافيني كقنصل بالجزائر هو محاولة منها لكسب الأمير كورقة رابحة للضّغط على فرنسا، وهذا ما رفضه الفرنسيون جملة وتفصيلا(العايب،2017،ص108).

3. منظومة القيم الإنسانية النظرية في فكر الأمير:

إستمد الأمير عبد القادر تفكيره من القرآن والسنّة، وما تركه الأوائل من فطاحل العلماء، لذا فهو منفتحٌ على العالم الإسلامي والغربي، فنجده يسخّر فكره لتغيير الأوضاع المحيطة به سواءًا بطريقةٍ نظريةٍ أو عملية. وبذلك فقد جاءت حياته العملية في نشر قيم التسامح والتعايش والسلام مطابقة للتوجّهات الإديولوجية لهذه الشخصية.

من هنا، فإنّ رصد أهم القيم الإنسانية التي تشبّع بها الأمير، تنطلق من إرثه الثقافي أو تجاربه الشخصية التي إعتمد عليها في صياغة مشروع السلام العالمي، حيث كانت وظّف فلسفته في البحث عن مراتب الوجود التي جعل الإنسان آخرها وخصّه بمرتبة هامّة وسط الخلائق، فهو في نظره سيّد المخلوقات

أجمع كلٌّ في خدمته، وهنا نجد الأمير يذهب إلى إعتبار الإنسان الذي يرتقي إلى صفات الكمال-التي لا تتحقّق إلاّ بتكاتف عمله الروحي والجسدي- ملزمٌ بالتشبّث بالشّرع لكونه عين الله في الأرض وخليفته عليها(الأمير عبد القادر،2004،ج1،ص448، 477-478، 548، 575).

كما منح الأمير للإنسان منزلة خاصّة، فهو مهيّأ في نظره لنيل المراتب العليا، فسمّاه بـ: "الإنسان الكامل" و سمّاه الأمير أيضا "العالم الأصغر" الذي يناظر العالم الأكبر(الكون) معنىً معنىً لما له من صفات روحانية وجسمانية أرضية وسماوية. ولأجل ذلك فقد سُخّرت له الخلائق لخدمته عكس الحيوان(عبد القادر الجزائري،1989،ص92-93؛ الأمير عبد القادر،2004،ج1،ص478). وبالتالي فإنّ الإنسان في نظر الأمير هو المخلوق الكامل و هو أشرف المخلوقات وأكملها ولهذا سمّاه أيضًا بالإنسان "المثل الذي لامثل له"(الأمير عبد القادر،1989،ص92-93؛ الأمير عبد القادر،2004،ج1،ص450، 478، 573).

والظاهر أنّ إيمان الأمير عبد القادر بفكرة الإختلاف قد جعلها منطلقا لأفكاره؛ لكونها تنطلق من الله سبحانه وتعالى، ففكرة الإختلاف عنده ترتبط بالإنسان الكامل الذي يختلف عن الآخرين لصلاح معتقده. ومن هنا فإنّ إختلاف الأديان أمرٌ واردٌ إلاّ أنّها تتّفق في وجود الخالق الذي وُجبت معرفته بأيّ طريقةٍ ما، إمّا عن طريق الإكتشاف أو التقليد أو العقل. وبذلك فإنّ الإختلاف في فلسفة الأمير لايعدو كونه سوء تفاهمٍ في قراءة الأفكار الدّينية، وهذا ما حاول توضيحه في كتابه المواقف، على أنّ اختلاف الأديان مرتبطٌ بطريقة معرفة الإنسان لله، لذا فكلّ فردٍ يعتقد أنّ طريقته هي المثلى التي تُوجب على الآخر اتّباعها، وهذا ما نلمسه من مُحاولة الطرف المسيحي أو الإسلامي دعوة الآخر لاعتناق ديانته ولو بلغ الأمر حدّ السيف(الأمير عبد القادر،2004،ج2،ص370-371، 379).

كما لم تخل قيم الأمير من الدعوة إلى الحوار بين المخلوقات، لكونه عنصر هام في العلاقات الإنسانية ولأنّ اختلاف الأديان يوجب عملية الحوار البناء في ضلّ الإختلاف الحاصل، ففلسفة الأمير تدعو بصورة واضحة إلى صنع الحوار بين الثقافات والأديان وبين الدول والشعوب. ولعلّ من أبرز المفاهيم

التي دعا إليها الأمير هو حوار الحضارات والأديان القائم على إحترام حقوق الإنسان بإتّباع المنهج الإسلامي(بوعزيز،1983،ص80-82).

ومن هنا، فإنّ الحوار عند الأمير ينطلق من حاجة الإنسان إلى أخيه كونه لايستطيع لوحده مجابهة تحدّيات عصره. وهذا ما جعله يفتح قنوات الحوار بين الأضداد عن طريق اللّغة التي تُعد مفتاح التفاهم والتواصل بين الشعوب(الأمير عبد القادر،1989،ص149-150؛ خليفي،2014،ص216).

يبدو أنّ المصادر التي بين أيدينا لا تمنحنا صورةً واضحةً عن نظرته للأنا والآخر إلاّ من خلال تجربته الشخصية على أرض الواقع، على أنّ ملامح تكوّن الأنا لدى الأمير تعود إلى نشأته الأولى ذات الطابع الدّيني. وبذلك فقد جمع الأمير العديد من الخصال المحمودة، في نفس الوقت كان الآخر في نظره يتجسّد رُويدًا رُويدًا لتظهر ملامحه بشكلٍ واضحٍ من خلال ماتعرّض له الشعب الجزائري من ضغطٍ جرّاء الإستعمار الفرنسي، إلاّ أنّ فكرة الآخر سوف تتغيّر من وجهة نظره خاصّة أيّام النُّضج المعرفي الذي لامس تجربته الصوفية، حيث جعلته يرى الأنا والآخر متكاملٌ في ظلّ الإختلاف الحاصل بين الطرفين، وهو ماجعله يدعو إلى حوار الأديان والمعتقدات وحتّى الحضارات، وربّما كانت أفكاره هذه تؤسّس لنوعٍ من التقارب مع العدو الفرنسي لإنهاء حالة الصراع بطرقٍ سلميةٍ قائمة على الحوار والتعايش بين الأديان (الأمير عبد القادر،2004،ج2،ص370-371، 379؛ الزغبي،2016،ص11-13).

يمنحنا الأمير عبد القادر مفهومًا واضحًا للأخلاق من خلال فلسفته ونظرته للإنسان الكامل الذي يمتلك العقل الراجح، لذا فهو يؤمن بالفكر الخُلقي الممارس على أرض الواقع، وهذا ما جعل جميع مؤلّفاته ذات طابعٍ خُلقيٍ لإشتمالها على العديد من النصائح الدّينية والخُلقية المهذّبة للمجتمع، فنجده يجعل الأخلاق من الصفات الأساسية في معاملة الآخر سواءًا كان صديقًا أو عدوًا. وبه فإنّ الأخلاق في نظر الأمير ممارسة على أرض الواقع دون النظر إلى الإختلاف الديني والمذهبي، وما يؤكّد ما نصبو له هي طريقة معاملته للأسرى النّصارى التي لاحظنا من خلالها التطبيق الفعلي للعمل الخُلقي على أرض الواقع(الأمير عبد القادر،1989،ص37، 80؛ الأمير عبد القادر،2004،ج2،ص450، 454).

كما تعد المساواة من أهم المبادئ التي دعا إليها الأمير لإرساء ثقافة التسامح والتعايش داخل الوطن الواحد أو بين الدول والأمم، لذا نجده يمنع ويرفض كلّ ما يخدش عدالته في دولته، متجنّبا كلّ أنواع الظلم و الإساءة وضرورة الإحسان(بن ساعد،2003-2004،ص141).

ومن القيم التي تحلّى بها الأمير هو إتّصافه بالحكمة والمعقولية في اتّخاذ القرارات، فكانت دعوته إلى تغليب العقل على القلب أمرٌ واردٌ في فكره الفلسفي، وهذا ماتمليه العديد من الإشارات التي تضمنتها مؤلّفاته خاصّة كتابه"المواقف" و"المقراض الحاد"،فلا نكاد نعثر على مسألةٍ دينيةٍ أو فلسفية إلاّ وتضمّنت تحليلاً وشرحًا مع إبداءٍ للرأي(الأمير عبد القادر،2004،ص47؛ الأمير عبد القادر،1989،ص14، 19، 24).

ولكون الأخلاق المنطلق الأساسي للإنسان الكامل في فكر الأمير، فقد كان شديد الحرص على تطبيقها على أرض الواقع من النّاحية النّظرية والعملية، فهو يرى أنّ الأخلاق سلوكٌ مُمارسٌ يتّصف به الإنسان وهو شامل للتّسامح والإنفتاح على العالم الخارجي. وبذلك فإنّ الأخلاق الحميدة هي الصفة الغالبة على سلوك الأمير في التعامل مع الصديق والعدو، وهذا ما جعله ينبذ كلّ أنواع العنف ويميل إلى المسالمة والمهادنة(الأمير عبد القادر،1989،ص37، 80؛ الأمير عبد القادر،2004،ج2،ص450، 454).

أمام هذا العرض المتواضع للقيم الإنسانية، يمكن القول أنّ الأمير ومنذ المراحل الأولى لتكوينه الفكري والثقافي والدّيني قد تشبّع بالفكر الإصلاحي الهادف إلى نبذ العُنف والتفرقة والفساد، لتبلغ مرحلة السُمو والإبداع الفكري في مراحل لاحقة من حياته، والتي كان لها دورٌ بارزٌ في توجيه مشروع السلام العالمي من خلال العمل على تقريب وتشجيع ثقافة الحوار التي بدت بشكلٍ واضحٍ في عدّة ممارسات على أرض الواقع جسّدت فيه هذه القيم.

4. ترجمة المؤرخ جون كيزر وأعماله الفكرية:

لا تمدّنا المصادر والدّراسات التي بين أيدينا بترجمة وافية لهذه الشخصية التي جمعت بين التّاريخ والسّياسة رغم شهرتها على الساحة العلمية، إلاّ أنّ ما يمكن الإستئناس به هي الترجمة التي وردت عنه في موقعه الرسمي.

فهو من مواليد سنة 1942م بالو.م.أ، تلقى تعليمه الأول بمسقط وتحصل على شهادة البكالوريا عن جامعة كارولينا الشمالية، ليتمّ دراسته الجامعية في العديد من الجامعات أهمّها دراسة التّاريخ بجامعة كارولينا الشمالية، حيث تحصّل على شهادة الماجستير في إدارة الأعمال بجامعة شيكاغو ونال شهادة الماجستير في التّاريخ الأوروبي عن جامعة كولومبيا، ومتخصّص في الدّراسات الألمانية عن جامعة قوتنجن، تقلّد الكثير من الأعمال والمناصب منها: مستشار خاص بوزارة الخارجية وكاتب وسفير لإمكانيات التكنولوجية للإتحاد السوفياتي بالو.م.أ في الفترة الممتدة مابين1975-1981م، ورئيس شركة Kiser Research Inc المتخصّصة في السمسرة بواشنطن العاصمة. أمضى البعض من حياته في فرنسا سنة1994-1995م لمتابعة أعماله التّجارية والبحثية العلمية، والتي خصّص جزءا منها للكتابة والدّراسة وإلقاء المحاضرات رفقة عائلته، كما عيّن كمستشار المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام وعضو فخري للأكاديمية الروسية للعلوم، ومدير المركز العالمي للدّين والدبلوماسية وعضو مجلس إدارة مركز الإيمان والثقافة، كما عمل محلّلا سياسيا للعديد من الصحف الأمريكية الكبرى، و مهتم بالمجتمع المغاربي، إضافة إلى إتقانه العديد من اللّغات الأجنبية بما في ذلك الفرنسية والروسية والألمانية، وهو حاليا يعيش رفقة عائلته بولاية فرجينيا بالو.م.أ.(الموقع الرسمي للمؤرخ جون كيزر الرابط: https://www.johnwkiser.com/cv.phpبتاريخ 2021/10/16 على الساعة11.00صباحا ؛ Quinson,2003,p1.2).

ترك لنا المؤرخ جون كيزر العديد من المؤلّفات المختلفة التي مسّت الكثير من المواضيع السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والتّاريخية، فكان أوّل كتاب له عنوانه:" **رواد الأعمال الشيوعيون: مبتكرون غير معروفين في الاقتصاد العالمي**" سنة 1989م حيث يتكون من225 صفحة، ويتناول الكتاب

محاولة عرض لبعض رجال الأعمال الشيوعيين من الناحية النّظرية والتطبيقية ومحاولة الإستفادة منهم ونقل تجاربهم إلى الو.م.أ(Quinson,2003,p02).

ومن مؤلّفاته أيضا كتاب:" **رهبان تبحرين: إيمان وحبٌ ورعبٌ في الجزائر**" الذي نشر سنة2003م، حيث يتناول الكتاب قضية الرهبان الذين قتلوا بمنطقة تبحرين بالصحراء الجزائرية والذي به نال شهرة كثيرة وسط معتنقي الدّين الكاثوليكي من دول العالم؛ خاصّة وأنّه كشف للمجتمع الأمريكي الحياة الخاصّة للرهبان خارج الديار. وبذلك فقد أظهر جون كيزر من خلال مؤلّفه إهتمامه البالغ بالمجال الدّيني اللاّهوتي وحاولة إعطاء تفسير بعيد عن التحيز في مقتل هؤلاء الرهبان، والذي دعا به إلى حوار الأديان دون صراعها، مشيرا أنّه فعل لا يتّصل بمكنون الدّين الإسلامي ومؤكّدا على إيجاد مجتمع يقوم على حوار الأديان وتفاعلها دون صراعها(Quinson,2003,p2-5).

كما كان له مؤلّف آخر في مجال السير الذاتية عنوانه:" **ستيفان زويج: وفاة رجل حديث** " الذي ألّفه سنة1998م، يعالج الكتاب قصة إنتحار كاتب برجوازي نمساوي يهودي الأصل(1881-1942م) تميّز بكثرة إنسانيته وطريقته العلمانية وكثرة مؤلّفاته التي ترجمت لأكثر من خمسين لغة، لذا حاول جون كيزر البحث في حيثيات إنتحار هذا الرجل المعطاء رغم ما كان يعيشه من أبّهة وغنى في دولة البرازيل رفقة زوجته، ويرجع جون كيزر أسباب وفاته إلى علمانيته الزائدة وتدينه اليهودي المفرط خاصّة وأنّه صادف بدايات الحرب العالمية الثانية (Quinson,2003,p02 ؛ 9-2018,p8, Lecorchey).

ومن مؤلّفاته أيضا كتاب:" **الدين والإرهاب والخطأ: السّياسة الخارجية للولايات المتحدة وتحدي المشاركة الروحية**" الذي ساهم به رفقة الباحث دوقلاس جونسون Douglas M. Johnston رئيس ومؤسّس المركز الدولي للدّين والدبلوماسية (ICRD) في توضيح دور السّياسة الخارجية الأمريكية في فهم القضايا الداخلية والخارجية، وكيفية التعامل معها خاصّة ماتعلّق بالدّين الإسلامي، وذلك بدعم المشاركة الروحية وفهم الأسس التي تقوم عليها الأديان وفهم الهويات، كما يركّز

صاحبا الكتاب على استخدام المشاركة القائمة على الدّين لسدّ الإنقسام الثقافي وتعزيز التفاهم والإحترام بين الحضارات الغربية والإسلامية(Johnston ,2011,p40-41) .

ولعلّ من أهم كتبه التاريخية التي تصب في خانة سير الشخصيات العالمية كتابه المتعلّق بالأمير عبد القادر والموسوم بـ:" **Commander of the Faithful: The Life and Times of Emir Abd el-Kader (1808–1883)** "**أمير المؤمنين الأمير عبد القادر**"، تعبيرا عن إعجابه به خاصّة في المجال الإنساني، حيث تكونت دراسة جون كيزر من ثلاث فصول أبرزها الفصل الثاني والثالث الذي يظهر من خلاله إنسانية الأمير في التعامل مع الأسرى والنّصارى، حتى أنّه أعطى للعمليات العسكرية الأميرية صفة الجهاد الحقيقي ضد العدو ووصفه بالرجل الشريف، كما أشار إلى أحداث 1860م بدمشق واصفا إيّاه بالرجل القيادي الحقيقي والبطل في حلّ المشاكل (Quinson,2003,P02 ؛ Kiser ,2008,P130 ,187 ,308).

ولم تتوقف ملكته الفكرية عند هذا الحد، حيث كان له العديد من المقالات العلمية بالصحف والمجلّات ومن أعماله العلمية نذكر: "**العالم الجزائري المصغر: الرهبان والمسلمون وغيرة المرارة**" سنة2003م، ومقال آخر عنوانه: "**من الجزائر إلى العراق**"، مشاة البحرية الجازيت"سنة2006؛ وعدّة مقالات أخرى تمحورت مواضيعها حول التكنولوجيا السوفيتية نشرت في العديد من المجّلات منها:" Harvard Business Review" و "Foreign Policy Magazine "و" Wall Street Journal" و " Washington Post "(الموقع الرسمي للمؤرخ جون كيزر الرابط: https://www.johnwkiser.com/cv.php بتاريخ2021/10/17على الساعة10.00صباحا).

الملاحظ من خلال ما ألّفه جون كيزر هو ذلك التنوع في المواضيع التي شملت سير الشخصيات وأهم الأحداث العالمية، لذا يمكن تقسيم كتاباته إلى صنفان: صنفٌ عالج الفكر الإديولوجي للإتّحاد السوفياتي، سواءا من الناحية العلمية والتكنولوجية أو التّجارية خاصّة وأنّ الو.م.أ كانت تعيش صراعا إديولوجيا واقتصاديا وسياسيا تثمل في الحرب الباردة، وهي المرحلة التي شملت سنوات1975-1994م.

في حين أنّ الصّنف الثاني من المؤلّفات كان بعد نهاية الحرب الباردة، وهي الفترة التي هاجر فيها إلى فرنسا بداية من سنة1994م، والتي سخّرها للكتابات الدّينية ومحاولة فهم الحوار الديني القائم على تلاقح الحضارات والدّيانات، خاصّة الإسلام والمسيحية واليهودية وذلك بالإعداد لرؤية جديدة إيجابية للحقيقة الدّينية، ولعلّ هذا الأمر هو ما جعله يتردّد كثيرا في قضية التدين، وهذا ما ظهر جليا من خلال دراسة قضية الرهبان وحياة الأمير عبد القادر التي حاول منها إنصاف المسلمين والإسلام الذي يبتعد عن التطرف والعنف والدعوة إلى التواصل والتسامح(Quinson,2003,P2-3).

5. تجليات الفكر الإنساني للأمير في كتابات جون كيزر:

أفرد جون كيزر للأمير عبد القادر الجزائري كتابا خاصّا سمّاه:" **أمير المؤمنين الأمير عبد القادر Commander of the Faithful: The Life and Times of Emir Abd el-Kader (1808-1883)**"، الذي صدر سنة 2008م من400صفحة، حيث يتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء أي ما يعادل أربعة وعشرون فصلا، الفصل الأوّل تناول حياة الأمير خلال سنوات1808-1834م من البداية إلى الإمارة، أمّا الفصل الثاني فقد خصّصه لفترة حياته الممتدة من1834-1847م، حيث حاول من خلاله كشف الصراعات المتبادلة بينه وبين فرنسا، في حين كان الفصل الأخير يتضمن حياة الأمير خلال سنوات1848- 1883م في المنفى(Kiser,2008,PVii).

يبدو أنّ الكتاب الذي قدّمه جون كيزر، يعد من أهم المؤلّفات التّاريخية العالمية الهامّة ذات البعد الإستراتيجي، خاصّة وأنّه عالج سيرة رجل مسلم مقاوم للإستعمار الفرنسي في زمن إنعدم أمثاله ممّن ينادي بحوار الحضارات والأديان وينبذ العنف والتمييز، رغم معاناته في ضلّ الإستعمار الفرنسي، ولعلّ هذا الأمر هو ما جعل العديد من الشخصيات تشيد بفكرة الكتاب ومؤلّفه بصفة عامّة والأمير عبد القادر بشكل خاص، وتمنح جون كيزر مرتبة العرفان والشكر على هذا العمل الذي به عرف الأمير نقلة نوعية من التّاريخ المحلي إلى العالمية، وربّما كان هذا الكتاب هو مادفع البعض منهم لوصفه برجل الله، الذي جعل من الإسلام جسرا مابين العالم الأوروبي والإسلامي، عن طريق تطبيق تعاليم الدّين الإسلامي على حدّ

تعبير سوزان إيزنهاور رئيسة معهد إيزنهاور المكلّفة بالأمن القومي للو.م.أ، ووصفته الهندية المسلمة دايزي خان بالمعلّم الروحي والقائد المحارب الذي إستطاع تحقيق نوع من العدالة في مجتمعه، دون أن يتجاوز حدودها في المجال العسكري(Khan,2010,P126-127 ؛Kiser,2008,P V).

من هنا، فإنّ أهمية الكتاب ومحتواه العلمي، يدفع الباحث إلى الوقوف على مضامينه الفكرية والتّاريخية والفلسفية التي أشارت لشخصية الأمير عبد القادر زمن الحرب والسلم، والتي جعلت منه إنسانا عالميا بفكره وإديولوجيته التي إنعدم نضيرها خلال عصره.

وهو ما جعل جون كيزر يظهر العديد من المزايا التي إتّصف بها الأمير من وجهة موضوعية الهدف منها إرساء قواعد السلام الدولي إنطلاقا من تجربة الأمير عبد القادر، فكان كتابه ثمرة دراسة طويلة لحياة الأمير، زار من خلالها بلاد الجزائر عدّة مرّات لتلامس روحه الحدث التّاريخي الذي كان يعيشه الأمير ويعطي لهذه الشخصية حقّها بالمحافل العلمية(Kiser,2008,P324).

من هذا المنطلق، فقد حاول جون كيزر توظيف وإبراز الفكر الإنساني للأمير من خلال تتبّع حياته الجهادية، العرفانية، ومواقفه الإنسانية في التعامل مع العدو والصديق زمن الحرب والسلم، لغرض الإستفادة منها كبادرة مهمّة لإنصاف المسلمين، وكتاباتهم ودورهم في تكريس الأمن والسلم العالميين، حيث برز ذلك في عدة مظاهر أبرزها:

1.5 المعاملات الإنسانية للأمير:

يظهر أنّ فلسفة جون كيزر وفهمه العميق لعقيدة الأديان السماوية وشغفه بالقراءة والبحث في أصل الأديان وتناغمها، جعله يخصّص وقتا كثيرا في عمليات التقميش في غياهب التّاريخ الدّيني للدّيانات السماوية للوصول إلى حقيقة تلاقح الحضارات دون صراعها، وهي فكرة لطلما راودته خلال إقامته بفرنسا ما بعد سنة 1994م، والتي جعلته يدخل معترك الحوار الدّيني ضدّ الكثير من القساوسة بفرنسا، ومنهم الأب كوستا الذي أكثر من جداله حول حوار المسيحية والإسلام(Quinson,2003,P02).

حيث تأكّد لجون كيزر تلك العلاقة الإيجابية بين الأديان كان للإسلام فيها دورٌ كبيرٌ، من خلال ما لامسه من معاملات إنسانية مستمدة من الشّريعة الإسلامية، كان الأمير عبد القادر من أبرز

الشخصيات التّاريخية الداعية لتغليب الروح الإنسانية في المعاملات الفردية والجماعية مع العدو والصديق، ومن مظاهر تأثر المؤرّخ جون كيزر بإنسانية الأمير هو وصفه له بالرجل المرابط المتدين الموحّد، حيث كان تكوينه الدّيني وثقافته الصوفية هي من جعلت منه رجلا دينيا متمسّكا بالإسلام معنى وروحا، والتي إنعكست حتّى على سيرة عائلته، ناهيك عن تمسّكه بعاداته وتقاليده(Kiser,2008,P10-11؛ Teissier,2020,P66) .

ويضيف جون كيزر أنّ الأمير عبد القادر قد إتّخذ القرآن دليلا نظريا وعمليا في التعامل مع شعبه ومع جميع الشعوب التي عايش تطوراتها السّياسية، خاصّة الدول العربية التي خضعت للسلطة العثمانية (Kiser,2008,p31)، كما عمل على توظيف فحواه في التعامل مع العدو؛ وهذا ما أكّده جون كيزر أنّ الأمير كان يعي جيّدا ذلك عندما وقّع معاهدة ديمشال سنة1834م، التي أظهر فيها عدم ميله للخداع وإحترامه للعهود والمواثيق الدولية، وهذا ما صرّح به جون كيزر في وصفه للأمير على أنّه يشبه ملوك أوروبا في العصور الوسطى في إقامة دولة قائمة على الوعي الوطني، وما يزيد من إنسانية الأمير وتعايشه مع الآخر هو تقبّله لفكرة الوساطة اليهودية في المعاملات التّجارية مع الأوروبيين (Kiser,2008,p61-62,71) .

كما عمد الأمير على معاملة جنده من العسكر معاملة إنسانية أخلاقية قائمة على الإحترام المتبادل، بصرف أجورهم في وقتها، وتوفير الألبسة والأسلحة والأطباء، والعمل على تثيقيفهم إعتمادا على القرآن والسنّة والحديث والعادات الحسنة، وحكم الأنبياء والرسل، حتّى وصفه كيزر بكبير المعلّمين(Kiser,2008,72) .

في نفس الوقت، وضع الأمير العديد من المكافئات المالية لكلّ جند من جنوده يأتيه بالأسرى، حيث قدّرت مكافأة أسير مسيحي بأربعين فرنك فرنسي وخمسين فرنكا لكلّ إمرأة أسيرة وفقا لقانون الأسرى الذي وضعه الأمير، كما فرض عقوبات صارمة ضد كلّ جندي يقوم بأسر فرنسي دون علمه أو التأخير في تقديمه للأمير(Teissier,2020,p68).

وتزيد جاذبية الأمير عند جون كيزر في إحدى كتاباته، عندما يربط معاملاته الإنسانية بثنائية الإيمان والإنسانية، والتي بدت بشكل واضح في رفقه بالأسرى ولو كانوا فرنسيين، ولعلّ هذا الأمر هو ما جعل كيزر يميل إلى فكرة الأمير القائلة: أنّ جميع الأديان تشترك في نفس التفويض أن تحب الله وترحم مخلوقاته بما في ذلك سجناء فرنسا (تشرشل،1982،ص101-102؛ Kiser,D.N.M,p04 الـــــــرابط: Http://Elijah-Interfaith.Org/Pdf/Lessons-From-An-Arab بتاريخ2021/10/20 على الساعة21.26).

وما يستدعي الإنتباه، هي تلك المعاملة الحسنة التي أبداها الأمير مع سجنائه، ومنها ما ذكره جون كيزر عن السجين الذي توسّط له أسقف الجزائر أنطوان أدولف دوبوش من الأمير لإطلاق سراحه، حيث كان ردّ الأمير مليئا بالرحمة والإنسانية وله أن يطلب المزيد منهم(Kiser,D.N.M,p09 الرابط: Http://Elijah-Interfaith.Org/Pdf/Lessons-From-An-Arabبتاريخ 2021/10/20على الساعة21.26).

وما يزيد الأمر حرجا للسلطة الفرنسية هي التقارير السرية للأسرى الفرنسيين الذين صرحوا أنّ الأمير عاملهم معاملة حسنة، حيث لم تكن حصص الأسرى من الطعام تختلف عن جيش الأمير، كما سمح لهم بأخذ جثث موتاهم إلى أهاليهم بعد نهاية الحرب(Kiser,D.N.M,p09 الرابط: Http://Elijah-Interfaith.Org/Pdf/Lessons-From-An-Arab بتـــــــــاريخ 2021/10/20على الساعة21.26).

وبذلك يصبح الأمير عبد القادر في نظر جون كيزر مثالا يحتذى به في الأعراف الدولية والعلاقات الإنسانية لتشبّع فكره بالإيمان والهوية الوطنية قولاً وعملاً، فهو في نظره رجل مسلم متفتّحٌ موحّدٌ جامع ما بين المحلي والعالمي، وهو جسرٌ ثقافيٌ منفتحٌ على الثقافات والشعوب لايعارض تمازج الدّين والسّياسة والعلم، مدافعٌ عن الحريات ومؤمنٌ بحوار الحضارات بين الأمـــم (Kiser,D.N.M,p13-14 الـــــــرابط: Http://Elijah-Interfaith.Org/Pdf/Lessons-From-An-Arab بتاريخ2021/10/20على الساعة 21.26).

خلاصة إنّ المشروع العالمي للسلم والأمن والإيمان بحوار الحضارات هو فكرة لا طالما راودت الرجل منذ نعومة أظافره، فتنشئته الاجتماعية وتكوينه الفكري والثقافي والدّيني وتوجّهاته الإديولوجية ذات الطابع الفلسفي، دفعته إلى محاولة تجسيد هذا المشروع، فما كانت القيم الإنسانية النظرية إلّا قاعدة صلبة حاول الإرتكاز عليها لتحقيق هذا المشروع، فكانت المعاملات الإنسانية التي تحلّى بها مع شعبه وجنده وأسراه ماهي إلّا بداية له رغم ما كان يعيشه من صعوبات داخلية وخارجية، وربّما كانت الفتنة الطائفية الدمشقية هي الملاذ الوحيد لتجسيد مشروعه العالمي الذي أشادت به الأقلام العربية والأعجمية فكان جون كيزر أبرزها.

2.5 الفتنة الطائفية:

خصّص جون كيزر لهذه الواقعة العديد من الصفحات في فصلين متتابعين، نظرا لأهميتها في مسار تاريخ الإنسانية وما أظهره الأمير عبد القادر من سماحة وووجاهة ورجاحة عقل جعت العدو والصديق يقف إجلالًا لما فعله أثنائها، فصداقاته الواسعة وربطه لعلاقات جيدة مع المسلمين والنّصارى وجميع الطوائف سمحت له باحتواء الوضع محقّقًا نوعًا من التعايش الدّيني والمذهبي رغم الإختلاف الحاصل بينهم.

تتّصل هذه الفتنة بزمن إستقرار الأمير بدمشق السورية خلال الفترة الممتدة مابين 1853-1883م التي عرف فيها الأمير توجّهًا ثقافيًا وعلميا جديدًا، إعتمد فيه على التدريس والدّراسة ومجالسة العلماء وأهل الذّكر(قلايلية،2010،ص176).

حيث ترجع جذورها إلى الإضطرابات الاجتماعية والاقتصادية بين فرقة الدوروز المسلمين والموارنة المسيحيين في لبنان، حيث إنتقلت هذه الحمّى إلى دمشق بسرعة بسبب قضية الإمتيازات التي مُنحت للمسيحيين بالشام، ممّا أدى إنعدام التوازن في توزيع الحقوق و الثروة، وهذا ما يجعل إرهاصات الفتنة ترتبط بالدافع الاقتصادي المتمثل في التنافس التّجاري بين العثمانيين وأوروبا الصّناعية وتدخل التّجارة الأوروبية بسوريا الكبرى (Grammont et Dumont,1983,p74).

يذكر جون كيزر أنّ هذه الفتنة قد إرتبطت باليوم التّاسع من جويلية من سنة 1860م، بعد عدّة مناوشات بين الدوروز المسيحيين والمسلمين بدمشق، زمن حاكم دمشق أحمد باشا الذي حاول إحتواء

الوضع باشراك الأمير في فكّ النّزاع، حيث قام هذا الأخير بعدّة محاولات كلّلت بالفشل نظرا لتعصّب كلى الطرفين(Kiser,2008,P293).

ويضيف أنّ الأمير عبد القادر بهذه البدايات والمشاورات بين الطرفين، قد أظهر نوعًا من التفاهم والتسامح رغم الصراع المذهبي والديني الذي عرفته المنطقة في ضلّ الصراع الحضاري بين القوة الإسلامية الممثلة في الدولة العثمانية، والغرب المسيحي المتعطّش للسيطرة على أملاك الرجل المريض، فما كانت دمشق إلاّ مظهرًا ومركزًا لهذا الصراع قاده الفرنسيون والإنجليز بكلّ الطرق لغرض إحكام سيطرتهم على بلاد الشام(Kiser,2008,P293-294؛ 1997،ص85).

إنّ إحساس الأمير بهذه الأطماع، دفعه كما ذكر جون كيزر لربط علاقات واسعة مع العديد من الشخصيات النافذة بالدولة، ومنهم لانوس Lanusse السكرتير الأوّل في القنصلية الفرنسية الذي قام بتسليح جند الأمير؛ وهو إجراءٌ رفضته الحكومة العثمانية الممثّلة في أحمد باشا، نظرا لعددهم الكبير الذي قارب سبعة آلاف جزائري، إضافة إلى 300 آخرين كانوا يعيشون بداخل دمشق، في حين تواصلت المضايقات بين المسلمين والمسيحيين من جانب الطرفين، ردّ عليها أحمد باشا بمعاقبة المتسببين في ذلك(Kiser,2008,P295).

يظهر أنّ أعمال الأمير الإنسانية قد دفعت القنصل الأمريكي ميشيال ميشاقا Michael Mechahga إلى عقد صداقة مع الأمير عبد القادر لمدّة خمس سنوات، كما حاول هو أيضا نشر سياسة التّسامح بين المذاهب الدينية بدمشق حتّى سمي أيّامها "لوثر المشرق"، في وقت تمّ فيه إبعاد الأمير إلى قرية تبعد حوالي ثلاث إلى أربع ساعات عن دمشق، إشتبه البعض لاحقًا في أنّ الدروز نقلوه إلى تلك القرية عمداً لضمان غيابه عن دمشق في ذلك اليوم (Kiser,2008,P296).

باندلاع الفتنة عاد الأمير عبد القادر من القرية في الوقت المناسب، وعمد إلى حشد رجاله لجمع المسيحيين، ووفّر لهم الحماية في بيته وبيوت جيرانه وبالقلعة التركية بحمايةٍ عسكريةٍ جزائريةٍ، فكان منهم الرجال والنّساء والأطفال، وقد دامت حراسة الأمير لهؤلاء قرابة عشرة أيّام يفاوض فيه الدوروز في عدم

إرتكاب المجازر، كما تمّ نقل القنصل الفرنسي والروسي واليوناني إلى منزله القريب من الحي المسيحي على أحد أبواب المدينة(Kiser,2008,p296-297؛ أباظة،1994،ص17).

ورغم جهود الأمير، إلاّ أنّ عدد ضحايا المسيحيين قد بلغ20 ألفًا دمّرت فيه380قرية مسيحية و560كنيسة، ونفس الحال تكبّده الدوروز من خسائر مادية وبشرية، في حين تمكّن الأمير من إنقاذ 15 ألف مسيحي كانوا تحت رحمة القتل لولا تدخله الإنساني(حرشوش و حمدادو،2017،ص433؛ Kiser,2008,P298).

ومن دلائل رفض الأمير للفتنة ورفضه لها قوله للدّرزيين:" إنّني لن أسلم إليكم مسيحيًا واحدًا، إنّهم إخوتي، فتقهقروا وإلاّ أمرت رجالي بإطلاق النار"(دوحة،2010،ص304)، ونفس المعنى عبّر عنه جون كيزر عندما طلب من الأمير تسليم المسيحيين للمنتفضين خاصّة وأنّه كان في وسطهم أزيد من 400 يتيم(Kiser,2008,P298).

وكردّ فعل على ما فعله الأمير، وما أبداه من روح مسؤولة تحرّكها المفاهيم الإسلامية السمحاء التي دفعته إلى تطبيق تعاليم الدّين على أرض الواقع، كانت سياسة التّسامح والسلم من أبرز الصور الإنسانية التي حملها الأمير، توجّهت العديد من دول العالم إلى تهنئة هذا العمل البطولي الذي قلّ نظيره، فكانت رسائل الشكر والإمتنان تصل إليه من فرنسا، روسيا، إسبانيا، سردينيا، بريطانيا، السلطان العثماني، وحتّى البابا التاسع، دليل على عظمة الرجل وعالميته (Kiser,2008,P302-303).

ولمواصلة مساعي الأمير في الحفاظ على السلم، قامت بعض الدول الأوروبية بتقديم مساعادات عسكرية منها، قيام فرنسا بإرسال ستة آلاف جندي، وأرسلت بريطانيا ثلاثة آلاف أخرى من الجند لتعزيز السلم بالمنطقة، كما حاولت السلطات العثمانية إحتواء الوضع بتوقيف350 متورّط من أصل4600 شخص، وتمّ تغريم 338 مذنب، وتهجير157 شخص(Kiser,2008,P302-304).

ومن أبرز مظاهر الإعجاب ما أظهره الفرنسيون تجاه الأمير عبد القادر، فقد ذكر جون كيزر أنّ الحكومة الفرنسية قد منحته معاشًا تراوح ما بين100-150ألف فرنك فرنسي، ناهيك عن جوقة الشرف

وجناحٍ خاصٍ بقصر نابليون الثالث، في حين وصفته الصحافة الفرنسية بـ:"عبد القادر الإمبراطور العربي" (Kiser,2008,P308,314).

الملاحظُ أنّ ما فعله الأمير جعل العديد من الشخصيات العالمية تشيد بعبقريته وإنسانيته السمحاء وسعيه الدؤوب في الحفاظ على السلم، فكان العدو والصديق لأعماله شاكرين وبالرسائل باعثين، حيث عبّرت هذه الرسائل عن مدى إحترامهم لهذا الرجل العربي الشجاع.

إنّ هذا السلوك هو ما جعل جون كيزر من أشدّ المعجبين بسياسة الأمير التي تدعو إلى تغليب العقل والروح السمحاء في التعامل مع الإختلاف، لذا كانت نظرته للآخر تأخذ بعدًا تفاعيًا و مشروعًا عالميًا يقوم على السلم والأمن، ومن أمثله ذلك ماذكره جون كيزر أنّ الأمير كتب تاريخه من زاوية المنتصر فالصفات الأخلاقية والمؤهلات الفكرية جعلته رجلاً عظيمًا ترسّخت ملامح فكره بشكلٍ واضحٍ خلال القـــــرن 19م(حرشـــــوش وحمـــــدادو،2017،ص433-434؛ قلايليـــــة،2010،ص178؛ الزغبي،2016،ص35).

وبذلك فإنّ هذا الموقف الذي أبداه الأمير من الفتنة، يظهر إنسانيته التي أخذت عدّة أبعاد تدعو إلى الكرامة والتحرّر والتفكير العقلي وترفض العنصرية بكلّ أنواعها، فكان هذا التصرف ينم عن رجلٍ مُسلمٍ مُفكرٍ مُتفتّحٍ على الحضارات يؤمن بمشروع السلام العالمي بين الأديان والشعوب.

من هنا، فإنّ ما فعله الأمير يدخل في خانة الرجال العظماء في العصر الحديث؛ فعلمه وفكره الفلسفي ونظرته البُعدية للأحداث أكسبت الرجل سماحةً وتعايشًا وسلامًا لطالما حمله كمشروعٍ تجسّدت أسسه على أرض الواقع، فتجربة الأمير في نبذ التطرف والفساد والعنصرية في سبيل إرساء قيم التسامح والتعايش والسلام هي نتفٌ من جمهرةٍ كبيرةٍ من الجزائريين الذين حملوا مشعل الدفاع عن القيم الإنسانية.

6. قيمة مشروع السلام العالمي عند الأمير:

إنّ المتأمل فيما كتبه جون كيزر عن حياة الأمير عبد القادر، هو محاولته الجادة في إضفاء نوع من العالمية على حياة الرجل منذ بداية حياته إلى غاية وفاته، حيث يذهب جون كيزر أنّ التكوين الفكري والديني والفلسفي والتنشئته الإجتماعية والأسرية التي حظي بها، هي الأساس الصلب والقاعدة الأساسية

في تحقيق هذا المشروع الذي لطالما راوده في صغره، خاصّة وأنّه عاش معظم حياته في ضلّ الإستعمار الفرنسي، وهو مادفع جون كيزر لأن يضفي على الأمير عبد القادر صفة المعلّم الكبير في الكثير من المواضع(Kiser,2008,P6-22,72).

يبدو أنّ هذا المشروع العالمي سوف يأخذ منحى آخر عندما تزيد سعة إطلاع الأمير على الأوضاع العالمية، فكانت رحلته إلى المشرق قد صقلت شخصيته ونمّت فكره وقوّت رجاحة عقله، وهو ماجعل فكرة التخلّص من المستعمر بطريقة سلمية هي الراجحة لدى الأمير أوّل الأمر دون اللّجوء إلى العنف، وهذا ما اصطلح عليه جون كيزر بالطفل المطيع، نظرا لميله للأمن والسلم والإيمان بالحوار الحضارات والأديان ومحاولة تقريب الآخر دون إراقة الدّماء(Kiser,2008,P22-34,46-50؛ Teissier,2020,P59-60).

والحقّ أنّ تشبّع الأمير بالكثير من القيم الإنسانية السالفة الذكر، هي البداية الأولى لإعداد مشروع دولة قائم على التسامح والحوار وتمازج الأديان في ضلّ الصراع الحضاري الذي عرفته الجزائر، فنظرة الأمير للأوضاع السّياسية نظرة عالمية جعلت جون كيزر كثير الإعجاب به خاصّة في كيفية التعامل مع الأحداث، فقد ذكر أنّه كان يميل إلى السلم في الكثير من الأحيان، ومنها معاهدة تافنة وديميشال التي أظهرت قدرة الأمير على الحوار وتمسّكه بتعاليم الدّين الإسلامي التي طبقها على أرض الواقع من خلال معاملة الآخر(Kiser,2008,P106-117).

وتزيد عالمية الأمير في نظر جون كيزر عندما يعمد على ربط علاقات واسعة مع العدو والصديق من المسلمين وغير المسلمين، فكانت قضية الأسرى وتعامله مع اليهود والأوروبيين بصفة عامّة والأمريكان بصفة خاصّة، من أهم القضايا التي شغلت جون كيزر رغم ما كان يعيشه الأمير من ضغط داخلي وخارجي (Kiser,2008,P ix, 61-62,71).

ونفس الحال ينطبق على بناء دولته، حين شبّهه جون كيزر بملوك أوروبا في طريقة بناء دولته الفتية بطريقة عصرية قائمة على إذابة الفروق بين القبائل، وشحن همم الشعب بالدين والعلم والوطنية في سبيل

نيل الحرية، فهو في تصوّره أمير القبائل وملك من ملوك العالم في طريقة عيشه وسياسته الداخلية والخارجية(Kiser,2008,P6-8,71).

ورغم ما عاناه الأمير من ضغط إلاّ أنّه إستطاع الحفاظ على هذا المشروع لفترة طويلة، حاول تجسيده على أرض الواقع من خلال ميله للسلم في الكثير من المواضع، إلاّ أنّ قضية استسلامه لفرنسا سوف تقضي على آماله نوعا ما في تحقيق هذا المشروع الذي سوف يأخذ مفهومًا آخر في منفاه(Kiser,2008,P241-250).

وممّا تجدر الإشارة إليه، أنّ أفكار الأمير الداعية للسلم العالمي سوف تعرف نضجا كبيرا وتطورا ملحوظا أيّام الفتنة الطائفية الدمشقية التي جعلت منه رجلا هاما بعلاقاته الإنسانية ونظرته البعدية للأحداث، فتمكّن بفضل حنكته السياسية وإنسانيته المفرطة من توظيف تعاليم الدّين الإسلامي والعمل على خلق نوع من الرضى بين المذاهب الدّينية والطوائف المختلفة، رغم ما يحمله الوضع السّياسي والاقتصادي والديني من صراع حول مناطق النفوذ، كما أنّه إستطاع إخماد نار الفتنة بكلّ حكمة وروية جعلت دول العالم العدو والصديق تقف إجلالا على أعماله الخالدة في التّاريخ (Kiser,2008,P293-300).

ومهما يكن من أمر، فإنّ الأمير في نظر العالم العربي والإسلامي والغربي هو منشد الحوار الروحي ومؤسّس نظرية التعايش في ضلّ الإختلاف، فنجده في الكثير من المواضع يدعو إلى حوار الحضارات والإقبال على الآخر والإنفتاح عليه، وهذا هو ما ميّز فلسفة الأمير التي تتّسم بالجمع ما بين العمل السّياسي والجهاد الحقيقي مع التمسّك بالأخلاق الإسلامية لتقريب الآخر، وذلك بارساء قواعد الحوار بين الأديان، وهذا ما جعل الأمير عبد القادر يجمع ما بين قوّة النفس، الإيمان بالقواسم المشتركة، التمسك بالواجب الديني والوطني.

ولا نستبعد هنا، أن يكون جون كيزر قد فهم قصد الأمير عبد القادر الداعي إلى حوار الحضارات والأديان، حيث نجد جون كيزر قد قسّم حياة الرجل إلى مرحلتين: مرحلة التكوين الفكري والعقائدي والديني وهي المرحلة التي ربطها بالجانب النظري لمشروع السلام العالمي، انطلاقا من تشبعه بمجموعة من

القيم الإنسانية، أمّا المرحلة الثانية فهي التي حاول فيها الأمير تطبيق هذه التعاليم إنطلاقا من الدّين الإسلامي الذي يؤمن بالقواسم المشتركة، وهي المرحلة التطبيقية التي حرص الأمير على تجسيدها على الواقع، فما كانت فتنة دمشق إلاّ فرصة لإعلان مشروعه العالمي الذي إستفادت منه العديد من الدول والشخصيات حيث كان جون كيزر أحد هؤلاء، فدعوة جون كيزر إلى السلام العالمي ماهي إلّا محاولةٌ لقراءة جديدة جادّة لفكر الأمير وفلسفته في إرساء قواعد السلام والأمن الدوليين.

7. خاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية التي نحاول الإستفادة منها هي الغاية المرجوة من هذا العمل يمكن الخروج بالنتائج التالية:

– الواضح أنّ العلاقات الأمريكية الجزائرية تحركها المصالح الذاتية للطرفين (التّجارة– الأسرى)، ففي العهد العثماني كانت العامل الاقتصادي هو المحرّك الأساسي لها وهذا ما جعل الكتابة التّاريخية تعرف إنتعاشا ملحوظا، في حين تراجعت هذه العلاقات في ضلّ الإحتلال مما جعل الكتابة التّاريخية تنحصر في تقارير القناصل والدبلوماسيين، فما كانت محاولة الأمير لربط علاقات مع الأمريكان إلّا مبادرة لكسب حليف ضدّ فرنسا عن طريق إحياء نوع من العلاقات التّجارية تدعهما الإميتازات الإستراتيجية.

– تبيّن لنا أنّ تشبّع الأمير بمجموعة من القيم الإنسانية المستمدة من روح القرآن والسنة النبوية ترجع لتكوينه الفكري والثقافي والدّيني الأوّل والهادف إلى نبذ العُنف والتفرقة والفساد، لتبلغ مرحلة السُمو والإبداع الفكري في مراحل لاحقة من حياته، وهذا ماسمّاه أهل التصوف بالمرحلة العرفانية ومخاطبة الذات الإلهية، حيث كان لها دورٌ بارزٌ في توجيه مشروع السلام العالمي من خلال العمل على تقريب وتشجيع ثقافة الحوار التي بدت بشكلٍ واضحٍ في عدّة ممارسات على أرض الواقع جسّدت فيه هذه القيم السامية.

– بروز نوع من التباين في مؤلّفات جون كيزر التي شملت صنفان: صنف أراد من خلاله ملامسة الصراع العالمي الإديولوجي في إطار الحرب الباردة من الناحية العلمية والتكنولوجية أو التّجارية، في حين أنّ الصنف الثاني من المؤلّفات فكان بعد نهاية الحرب وهي الفترة التي هاجر فيها إلى فرنسا حيث سخّرها للكتابات الدّينية ومحاولة فهم الحوار الديني القائم على تلاقح الحضارات والديانات، وذلك تمهيدا لرؤية

جديدة إيجابية للحقيقة الدّينية، فكانت دراسته حول الأمير عبد القادر محاولة منه لإنصاف الإسلام والمسلمين بعيدا عن التطرف والعنف والدعوة إلى التواصل والتسامح.

– حاول جون كيزر إظهار العديد من المزايا التي إتّصف بها الأمير من وجهة موضوعية الهدف منها إرساء قواعد السلام الدولي إنطلاقا من تجربة الأمير عبد القادر، فكان كتابه ثمرة دراسة طويلة لحياة الأمير زار من خلالها بلاد الجزائر عدّة ليمنح لهذه الشخصية حقّها بالمحافل العلمية. لذا فقد قام جون كيزر بتوظيف وإبراز الفكر الإنساني للأمير من خلال تتبع حياته الجهادية والعرفانية ومواقفه الإنسانية في التعامل مع العدو والصديق زمن الحرب والسلم، لغرض الإستفادة منها كبادرة مهمة لإنصاف المسلمين وكتاباتهم ودورهم في تكريس الأمن والسلم العالميين.

– إعترف جون كيزر بكون الأمير عبد القادر مثال يحتذى به في الأعراف الدولية والعلاقات الإنسانية لتشبّع فكره بالإيمان والهوية الوطنية قولا وعملا، فهو في نظره رجل مسلم متفتح موحد جامع ما بين المحلي والعالمي، وهو جسر ثقافي منفتح على الثقافات والشعوب لايعارض تمازج الدّين والسّياسة والعلم، مدافع عن الحريات ومؤمن بحوار الحضارات بين الأمم.

– تبين لنا أنّ المشروع العالمي للسلم والأمن والإيمان بحوار الحضارات الذي نادى به الأمير عبد القادر هو فكرة لا طالما راودت الرجل، فتنشئته الإجتماعية وتكوينه الفكري والثقافي والدّيني وتوجهاته الإديولوجية ذات الطابع الفلسفي، دفعته إلى محاولة تجسيد هذا المشروع، فما كانت القيم الإنسانية النظرية إلا قاعدة صلبة لهذا المشروع، فكانت المعاملات الإنسانية التي تحلّى بها ماهي إلا بداية له، وربّما كانت الفتنة الطائفية الدمشقية هي الملاذ الوحيد لتجسيد مشروعه العالمي الذي أشادت به الأقلام العربية والأعجمية فكان جون كيزر أبرزها.

– الأمير في نظر العالم العربي والإسلامي والغربي منشد الحوار الروحي ومؤسّس نظرية التعايش في ضلّ الإختلاف، لذا نجده في الكثير من المواضع يدعو إلى حوار الحضارات والإقبال على الآخر والإنفتاح عليه، ولعلّ هذا هو ما ميز فلسفة الأمير التي تتسم بالجمع ما بين العمل السّياسي والجهاد الحقيقي مع التمسك بالأخلاق الإسلامية، وهنا لا نستبعد أن يكون جون كيزر قد فهم قصد الأمير عبد القادرالداعي

إلى حوار الحضارات والأديان، حيث نجده يقسم حياته إلى مرحلتين: مرحلة التكوين الفكري والعقائدي والديني وهي المرحلة التي ربطها بالجانب النظري لمشروع السلام العالمي، أمّا المرحلة الثانية فهي المرحلة التطبيقية التي تجسدت من خلال فتنة دمشق التي أعلن فيها مشروعه العالمي الذي إستفادت منه العديد من الدول والشخصيات، حيث كان جون كيزر أحد هؤلاء، لذا كانت دعوة جون كيزر إلى السلام العالمي ماهي إلّا محاولة لقراءة جديدة جادة لفكر الأمير وفلسفته في إرساء قواعد السلام والأمن الدوليين.

8. قائمة المراجع:

–العربية:

– أباظة نزار. (1994). *الأمير عبد القادر الجزائري*. دمشق: دار الفكر المعاصر .

– الأمير عبد القادر.(2004). *المواقف الروحية والفُيوضات السُبوحية*(الإصدار1).(إبراهيم عاصم الكيالي،المحققون).بيروت،لبنان: دار الكتب العلمية.

– الأميرعبد القادر.(2004). *ذكرى العاقل وتنبيه الغافل*. وهران: دار الغرب للنّشر والتّوزيع.

– الأمير عبد القادر.(1989).*المقراض الحاد لقطع لسان منقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد*(الإصدار1). الجزائر: دار الطاسيلي للنّشر والتّوزيع.

– بن ساعد عائشة.(2003–2004). *البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري*. رسالة ماجستير.قسم التّاريخ.كلّية العلوم الإجتماعية والإنسانية.جامعة الجزائر. الجزائر.

–بوعزيز يحي.(1983). *الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري*.تونس، الجزائر: الدار العربية للكتاب، الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع.

– تابليت علي.(2006–2007).*العلاقات الجزائرية الأمريكية1776–1830* . أطروحة دكتوراه. قسم التّاريخ. كلّية العلوم الإنسانية والإجتماعية. جامعة الجزائر. الجزائر.

– تشرشل شارل هنري.(1982).*حياة الأمير عبد القادر*(الإصدار2).(أبو القاسم سعد الله، المترجمون).الجزائر: الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع.

- حرشوش كريمة وحمدادو بن عمر.(2017). *النسب والتنشئة وتأثيرهما على إنسانية الأمير عبد القادر الجزائري*.مجلّة عصور.(34-35).جامعة وهران.

- الخالدي سهيل.(1997).*الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام*(الإصدار1). الجزائر:شركة دار الأمّة.

- خليفي بشير.(2014).*الفلسفة الأخلاقية عند الأمير عبد القادر الجزائري*.مجلّة المواقف للبحوث والدّراسات في المجتمع والتّاريخ.(09).

- دوحة عبد القادر(2010).*إسهام الأمير عبد القادر الجزائري في القانون الدولي الإنساني*.مجلّة المواقف للبحوث والدّراسات في المجتمع والتّاريخ.(01).

- الزعبي أمجد أحمد.(2016).*الآخر في فكر الأمير عبد القادر*.مجلّة البحوث والدّراسات الإنسانية.(12).

- سعد الله أبو القاسم.(1988).*نظرة الأمريكيين للتاريخ الجزائر*.مجلّة الدراسات التاريخية.المجلّد03.(02).

- سعد الله أبو القاسم.(1976) . *أول إتّصال للأمير عبد القادر بالبريطانيين والأمريكيين*. مجلّة تاريخ وحضارة المغرب.(13).

- العايب معمر.(2017).*علاقة الأمير عبد القادر بالامريكان(1836-1837) الأسباب والخلفيات*. مجلّة قرطاس.(04).

- العسيلي بسام.(1986).*الأمير عبد القادر الجزائري*(الإصدار2). بيروت: دار النفائس.

- قلايلية العربي.(2010). *البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال كتاب (حياة الأمير عبد القادر)لشارل هنري تشرشل*.مجلّة المعيار.(02).

- لونيسي رابح.(2010).*العلاقات الجزائرية الأمريكية عبر التاريخ*. مجلّة عصور.المجلّد09.(01).

-الأجنبية:

- GrammontJ.L.Bacqué, P.Dumont.(1983). *Paris*,paris : Centre National De La Recherche Scientifique.

- Johnston Douglas.M.(2011*). Religion, Terror, And Error: U.S. Foreign Policy And The Challenge Of Spiritual Engagement*.Englend:Published By The Wheatley Institution At Brigham Young University.
- Khan Faroque Ahmad .(2010).*Book Review: Commander Of The Faithful: The Life And Times Of Emir Abd El-Kader: A Story Of True Jihad*. Journal Of The Islamic Medical Association Of North America.V42.(03).
- Kiser. John. W.(2008).*Commander Of The Faithful: The Life And Times Of Emir Abd El-Kader (1808-1883)*.New York:Monkfish Book Publishing Company Rhinebeck .
- Lecorchey Virginie.(2018).*Stefan Zweig Et L'histoire A Travers La Litterature : Les Rapports Entre Les Biographies Historiques et L'histoire*. These de doctorat D'etudes Germaniques.U.F.R. De Lettres Langues Et Sciences Humaines. Universite Paris-Est-Creteil.paris.
- Quinson Henry.(2003). *John Kiser : parcours et pensée*. la conférence de l'auteur en janvier 2003 à l'Alliance Française(v38.3). Washington : publiée par Cistercian Studies.
- Teissier Henri.(2020). *l'Emir Abdelkader*.(Ed.01). Casablanca : Centre Culturel Du Livre Édition / Distribution.

مواقع الأنترنيت:

- الموقع الرسمي للمؤرّخ جون كيزر.*https://www.johnwkiser.com/cv.php*.(تاريخ الإطّلاع16-2021/10/17م).

- Kiser.w. John.(D.N.M). *Lessons From An Arab. (Abdelkader's Legacy Of EmpathyAndObedience, 1808-1883)* ; Http://Elijah-Interfaith.Org/Pdf/Lessons-From-An-Arab.Pdf. (consulté le 20/10/2021).